

إن أكثر الأسماء والضمائر العربية والسامية ، ينقسم إلى مذكر ومؤنث . والذي يربط كل الأسماء والضمائر المذكرة مع بعضها ، وكل الأسماء والضمائر المؤنثة مع بعضها أيضا ، ويدل على أن الكل جنسان لا أكثر ولا أقل ، متفارقان متخالفان ، هو الإنباع^(١) . والإنباع هو القاعدة التي بمقتضاها لا يتبع الاسم المذكر إلا مذكر ، صفة أو خبرا أو فعلا ، وكذلك في المؤنث ، فكان من المنتظر أن يكون لكلا الجنسين أو لأحدهما ، علامة مميزة خاصة به ، يشترك فيها كل الأسماء المنسوبة إليه ، وأن يكون لعد كل واحد من الأسماء بين أسماء الجنس الواحد دون الآخر ، سبب مفهوم ظاهر . والأمر في الحقيقة على ضد ذلك في كلتا الجهتين^(٢) .

فأما العلامة ، فإننا وإن صرفنا نظرنا عن الجمع والضمائر وأسماء الإشارة ، وجدنا أن في العربية للتأنيث ثلاث علامات لا علامة : التاء ، والألف المقصورة ، نحو صغرى ، وغضبي ، والألف الممدودة ، نحو : بيضاء . ونجد كثيرا من الأسماء المؤنثة مجردة من كل علامة ، فتشبه المذكرات . وليس بين الأسماء الموصوفة فقط ، نحو : الأم واليد ، بل بين^(٣) الأوصاف أيضا ، نحو : امرأة حامل ، وامرأة قتيل ، جاء في القرآن الكريم : ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤) . وبالعكس فبعض الأسماء الملحق بها التاء مذكورة ، نحو : العلامة ، والخليفة ، والراوية .

وإذا اطلعنا على الجمع ، رأينا جمع التكسير ، يُتبع في بعض الأوقات كأنه مذكر مجموع ، وفي بعضها كأنه مؤنث مجموع ، وفي أكثرها كأنه مؤنث مفرد ، بغير رعاية لمفرده أكان مذكرا أم مؤنثا . وأما الجمع الصحيح ، فنجد علامة المذكر منه

(١) أى المطابقة .

(٢) ذهب بعض اللغويين العرب كذلك إلى أن ظاهرة التذكير والتأنيث ، لا تبرى في اللغة العربية على قياس مطرد ، وأن المعول عليه في ذلك هو السماع . انظر مقدمتنا لكتاب البلغة لابن الأنباري ٤٩ - ٥٠ .

(٣) في الأصل : « يل وبين » لجن .

(٤) سورة الأعراف ٥٦/٧